الفصل الخامس
من قضايا الإعلال الخلافية

1- إعلال الفعل الناقص

2- إعلال نقل الحركة

1

1- إعلال الفعل الناقص

ورد بيت أبي الأسود الدؤلي الشهير عند الزمخشري نفسه مرتين بروايتين مختلفتين علّق في إحداهما على صيغة الفعل الناقص الذي لحق به مورفيم صرفي أنبأ عن أصله قبل اعتلاله وهو الفعل (غليت) مع تاء التأنيث ، يقول : " وغَلَت القِدر تَغْلي غليانا وغَلْيا ، وكثير من البَصْريين يقولون غَلِيت ، قال أبو الأسود الدؤلي : (من بحر البسيط) :

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق " [1] .

وتتعدد الروايات في هذا البيت لأكثر من شاهد ؛ فالزمخشري نفسه يرويه في موضع آخر : " قوله أغلقت الباب فهو مغلق والعامة تقول : غَلَقْتُ وهو لغة رذلة ؛يدلك عليه قول أبي الأسود الدؤلي :

ولا أقول لقدر القوم قد نضجت ولا أقول لباب الدار مغلوق " [2]

والشاهد في موضعنا هذا الفعل (غليت) الذي عومل معاملة الصحيح وظهرت لامه على رواية البصريين ، الأمر الذي خالف تصريفه المعتاد (غلت) لدى القدماء .

ويؤكد الباحثون المعاصرون أن مثل هذه الأفعال الجوفاء والناقصة قد مرت بأربع مراحل في تطورها :

قال : قَوَل ← قَوْل ← قُال (بالإمالة) ← قَال

قضى : قضيَ ← قضَىْ ← قضِى (بالإمالة) ← قضَى

هذه المراحل كما نرى هي مراحل : التصحيح ثم التسكين ثم الإمالة ثم الفتح الخالص ، هي مراحل مر بها الفعل في رأي معظم الباحثين المعاصرين ؛ حيث نجد لها ركاما لغويا في نطق بعض القبائل هنا أو هناك بصورة أو بأخرى ليظل شاهدا على وجودها بالفعل .

---

[1]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 35, وهكذا جاء عند ابن درستويه ، انظر : تصحيح الفصيح وشرحه ، ص 53 ، 166

[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 220

ومن ذلك ما تذكره المصادر " أن طيئا تقول بَقَى وبقَت مكان بقي وبقيت ، وكذلك في أخواتها من المعتل من نحو رضى ونسى في رضيَ ونسيَ ، فيجعلون الياء ألفا ويشير رابين Rabin إلى أن ذلك قد حدث في اللغة العبرية أيضا " [1] .

ويشير برجشتراسر إلى أن " تقصير الحركات الممدودة مطرد قبل حرف (ساكن) ، مثال ذلك : رَمَت أصلها ramayat فكان ينبغي أن تكون ramāt بالفتحة الممدودة فقصرت ... وهذا القانون قديم سائد في أكثر اللغات السامية ، والشواذ منه قليلة في اللغة العربية " [2] .

وفسّرها الدكتور أنيس بأن " معظم المقاطع العربية تنفر من توالي المقاطع المتحركة " [3] . وعبر عن ذلك الدكتور عبد الصبور شاهين بأن " اللغة تميل دائما إلى جعل الحركة الثلاثية ثنائية أو أحادية ، وإلى جعل الثنائية أحادية " [4] .

فهو إذا نوع من التطور اللغوي بالميل إلى الأسهل ، من المقطع الصعب إلى المقطع البسيط ، يقول لندبرج " يتطور المقطع البسيط (āyā - āwā) في اللغات العربية والكنعانية والسامرية والسريانية والآرامية والمندعية إلى (ā) " [5] .

وتدلنا الساميات المقارنة على صدق هذه النظرية في تطور الأفعال الناقصة (والجوفاء أيضا) ، وتاريخيا تبرُز أصول هذا التطور في العربية الجنوبية بشكل ملموس في معظم النقوش ، الغريب في الأمر أن لغة النقوش الجنوبية تظهر بشكل واضح أن التطور لم يحدث في الأفعال المعتلة فحسب ، بل وجدناه في الصيغ الاسمية وفي الحروف أيضا ، " والظاهرة الواضحة التي يلاحظها المرء هي احتفاظ الوزن المجرد إذا كان ناقصا بالواو أو الياء في حالة المفرد كما في dw ، - bny " [6] .

---

[1]- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، 200

[2]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 65

[3]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس , 141

[4]- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين , 194

[5] -O. E. Lindberg: Vergleichende , 122

[6]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون , 27

كما تؤكد تلك النقوش على كثرة تلك اللهجات الجنوبية التي لم تعلّ أفعالها ، فاللهجة الصفوية مثلا " كانت تكتب هذه الأفعال (اليائية) بالياء " [1] .

وهناك من الأسماء التي جاءت بالصورة المصححة في النقوش الجنوبية ومن ذلك " وردت صيغة mty رابطا للدلالة على الزمان بمعنى (حينما – متى) في المعينية " [2] . كما " وردت أداة العطف kmw بمعنى كما " [3] .

وتبقى اللغة الحبشية من بين اللغات السامية مثالا حيا قائما بالفعل على احتفاظها بالمرحلة الأولى من تلك المراحل ، يذكر رايت أن " الإثيوبية هي اللغة الوحيدة التي أبقت على التمييز بين النهايات مثل :

ሰ ካ ፡ bakāya (بكى) ፡ ተ ላ ወ talāwa (تلا)

في حين نجد اللغات الأخرى قد تحولت فيها ዉ) إلى ዋ) والمقطع (aya) إلى (ā) " [4] .

كما يؤكد دكتور رمضان إلى أن هذا النوع من الأفعال في الحبشية المنتهي بالواو أو بالياء يتصرف تصرف الصحيح تماما ، ومنه : ኣ ተ ወ (أتى) (atawa ,) ፡ ዐ በ ይ (ضَخُم) (abaya،) [5] .

ومع ضمير الغائبة نجد مثل الفعل ዐ በ ይ ተ (abayat ،) بالياء تماما مثل (غليت) [6] .

وفي هذا التطور يؤكد رايت أن في مثل bakaya - talawa " قد سقطت حركتهما النهائية ، وكانت النتيجة الصوت المركب (aw - ay) . انتقلت في العربية إلى (ā) bakā - talā ، وفي العبرية يمثل هذا الأمر فعل وحيد (שלו) (sālaw) يحفظ النهاية (w) في كل الصور

---

[1]- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، 200

[2]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 113

[3]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 125

[4] -W.Wright: Lectures, 73

[5]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 336

[6]- في قواعد الساميات ، 337 / وانظر :

C. Brockelmann: Semitische sprachwissen schaft , 153

مثل **שָׁלַוְתִּי** (sālawty) – **שָׁלוּ** أو **שָׁלְיוּ** (sālyty)، وما حدث في العربية حدث مثله في العبرية حيث تستبدل العبرية النهاية (ā) بـ (ـَה) مثل : **חָלָה - בָּכָה** "[1] . (تالاه – باخاه) .

ويقدم لنا رايت في أكثر من موضع نماذج تؤكد هذا التطور في العبرية ، في الأفعال من نوعية (غلت – غليت) : " يحدث هذا في كل الأفعال من هذه النوعية مثال :

עַשָׂת من **עָשְׂיַת** (عسَات – عَسْيَت)

חרצת من **חִרְצְיַת** (حرصات – حرصْيَت)

הָנְלָת من **הָנְלְיַת** (هانلات – هانلَيَت)

ومثله بالضبط في العربية (جَلَت) بانكماش (جليت) . والصيغة العبرية غير المنكمشة **גָּלְיָה** (غالاياه) وجدت بالفعل مرة في : **חָמְיָה נַפְשִׁי** "[2] . (حاماياه نفشي) .

والسريانية أيضا لا تخرج عن هذا التطور ، ولا نعدم أمثلة هنا وهناك تشير إلى بقايا الركام من النماذج المصححة بجوار النماذج المعلّة ، يقول الدكتور رمضان عن الفعل الناقص في السريانية : " أصل هذا النوع من الأفعال في السريانية الأم هو المعتل اللام بالألف (الهمزة) أو بالواو أو بالياء ، وقد تحولت هذه الأنواع الثلاثة في السريانية إلى فتحة طويلة في آخر الفعل ، تماما مثل : ملا – دعا – قضى ، في اللهجات الحجازية القديمة . ومن أمثلة الناقص في السريانية قرُا = دعا ، حرُا = فرح (بجوار حرِي وهي الأصل) "[3] . وتقرأ : قرا – حرا – حري.

ومن أمثلة هذه الأفعال عند كوستاز : فنُا ، فنِي (دار)[4] . (فنا – فني) ، كما نجد عوِي (عَوى)[5] . مازالت بالياء ، (عوي) .

---

[1] -W.Wright: Lectures , 256 - 257

[2] -W.Wright: Lectures , 137 – 74

وانظر أيضا أمثلة أخرى:O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 123

[3]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 228

[4] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 279

[5] -L.Costaz: , 246

ولا نعدم مرحلة من مراحل هذا التطور في الأشورية فالفعل عنى (أَسَر) في الأشورية ani [1] . والفعل (هَوَى) جاء في الأشورية hwi (بمعنى رفع يده لأعلى) [2] . والطفل الرضيع جاء فيها على صورتين عجا – عجي : aji، aja – [3] .

وفي المصرية القديمة نجد من مراحل هذا التطور ما بين الصوت المزدوج إلى الفتح الخالص في الصورتين (bat – bait) [4] .

وفي السامرية من hazāwat و hazāyat ← hazat ، وفي المندعية hazāt [5] . فقد سقط (y – w) من السامرية مع تاء التأنيث في حين طالت الحركة في الصيغة المندعية .

***

وطبقا لتلك المعطيات يتأكد لنا أن الصيغة (غليت) – وأشباهها – في بيت أبي الأسود الدؤلي هي صيغة عربية صحيحة اعتمدت المرحلة الأولى من مراحل تطور الفعل في اللغات السامية ، في الوقت الذي غلب الإعلال في صورته الأخيرة على النماذج اللغوية في الفصحى الحديثة .

وبنظرة من بروكلمان على النموذج (رمى) يتأكد لنا حدوث هذه المرحلة الحديثة في الساميات عدا الحبشية ، فمع تاء الغائبة يتضح لنا ما يلي :

عربي : رَمَى (ramā) – رَمَت ramat

حبشي : ramaiat – ramaia

عبري : rametō – rāmā

آرامي : remāt – remā

أشوري : tarami – irami [6] .

---

[1] -C- Forester: The one primeval language , 147
[2] -C- Forester: , 159
[3] -C- Forester: , 164
[4] -E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 202 , 208
[5] -O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 123
[6] - C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique, 194 : انظر

وقبل أن نختم هذا المبحث نشير إلى رأي آخر لموسكاتي جدير بالتأمل ، فقد رفض موسكاتي القول بأن مثل الصيغة (غلت) هي صيغة متطورة عن (غليت) مالت إلى الانكماش للسهولة والتيسير كما تم تفسيرها سابقا " وما تفسير الصيغ على أنها ناتجة من الترخيم أو القبض في حالات كثيرة ، إلا تقليد محض ، وما يمكن أن يكون حدث هو في واقع الأمر من البناء الثانوي للسواكن الضعيفة أو تطويل أصوات المد القصيرة (الحركات)من خلال تكييف الجذور الثنائية لتماثل النظام الثلاثي السائد"[1]

وهو هنا يعود بنا إلى القول بأن الثنائية أصل للأفعال المعتلة ، بل هي أصل لغوي يعتمد في كثير من المواضع وبالتالي فإن التطور الحاصل هو من (غَلَت) إلى (غليت) وليس العكس .

يؤكد ذلك في إشارة أخرى بقوله : " تعرض ما تسمى بالأفعال المعتلة كثيرا من الصيغ الثنائية الجذر مثل العبرية : قام qām الجذر قوم qwm والعربية رَمَت (الجذر رمي) ... إلخ . إن تصنيفنا النحوي الذي ينظر إلى هذه الصيغ على أن صوتا أصليا محذوف منها ، على حين قد يؤكد المرء بكثير من الدعم أن الحرف الأصلي الضعيف في تلك الصيغ التي تشمل عليه قد أضيف في واقع الأمر إلى الجذر ؛ لغرض الملاءمة للنظام ثلاثي السواكن ، ويبدو هذا الرأي على وجه الخصوص مفحما ؛ حيث تتوافق الجذور موضع البحث دلاليا مع الأخرى على أساس الثنائي السواكن من الأبنية " [2] .

وبالرغم من أن النظرية الثنائية فرضت نفسها على البحث اللغوي المعاصر بمعطيات ودلائل قوية ، إلا أننا لا نتفق مع موسكاتي في هذا الرأي لما قدمه الدارسون من مؤشرات مقارنة تؤكد وجود المراحل الأربعة من تطور الأفعال المعتلة على اختلاف أشكالها ، مما يؤكد أن الصيغة الثلاثية المصححة للفعل الناقص أو الأجوف تمثل مرحلة لاحقة تلت المرحلة الثنائية واستقرت في النظام اللغوي ، حتى حدث فيها في مراحل أحدث كثيرا من التغيرات المتتابعة ، انتهت بالتأكيد إلى الفتح الخالص في معظم اللغات السامية .

***

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 108 - 109

[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 126

2 - إعلال نقل الحركة

ننطلق في هذا المبحث من موضعين شهيرين اختلف حولهما القدامى وهما :

* الصيغة الفعلية (عِمت : أعام – أعيم) * الاسم (كَبْد – كَبِد)

أولا : الفعل (عِمت) ومضارعه :

ظهر في حالات عين الماضي وعلاقتها بعين المضارع أن النموذج (فعَل) مفتوح العين مضارعه يكون على (يفعُـل) والنموذج (فعِل) مضارعه مفتوح العين ، هذا القياس يحدث معه تغيرات صـوتية في حالة الفعل الأجوف ؛ حيث تختفي حركة عين الفعل في مرحلته الأخيرة من مراحل الإعـلال وهـي مرحلة الفتح الخالص ، وتبقى مشكلة تحديد الأصل الواوي أو اليائي ، يزيد هذه المشكلة تعقيـدا إسـناد الماضي الأجوف إلى ضمير رفع متحرك مثل تاء الفاعل الأمر الذي يدخلنا في تعقيدات صرفية وصـوتية ملبسة على كثيرين .

وممن دخل في هذا اللبس ثعلب في تصريفه للفعل (عام) مسندا إلى تاء الفاعل ، ومـما زاد هـذا اللبس أن الفعل في العربية له دلالتان بأصلين مختلفين ، الأصل الواوي : عام من العوم . والأصل اليائي : عام من العيم (وهو الاشتهاء إلى اللبن خاصة) .

يتضح هذا الخلط الذي سقط فيه ثعلب بما ورد عند الهـروي مـن قـول ثعلـب في الفصـيح : " عِمْت إلى اللبن بكسر العين أعيم عيمة وأعام أيضا ، أي اشتهيته ، فأنا عـيمان والمـرأة عيمـى . قـال أبـو سهل : ذكر أبي العباس – رحمه الله – عِمت بكسر العين في هذا الباب غَلَط ، لأن وزنه على الأصـل قبـل النقل فَعَلت بفتح الفاء والعين ، وكان أصله عَيَمت ، على مثال ضَرَبْت ثم نُقِل إلى فَعِلت ، بكسر العـين فقالوا : عِيمت ، بكسر الياء ، على مثال : علِمت ، فاستثقلوا كسرة الياء ، فنقلوها إلى العين التي قبلهـا ، فلما فعلوا ذلك سكنت الياء ، فاجتمع ساكنان وهما الياء والميم ، فأسقطوا الياء لالتقـاء السـاكنين فبقـي عِمْت بكسر العين . والدليل على ما قلته أن مستقبله أعِيم ، بكسر العين وسكون اليـاء ، وكـان أصـله : أعْيِم ، بسكون العين وكسر الياء ، على مثال ضربت أضْرِب . وقد خلط في مستقبله بقولـه أعـيم وأعـام

أيضا ، فأما أعيم فقد ذكرته ، وأما أعام فإنه مستقبل عِمْت الذي أصله عَيِمت بفتح العين وكسر الياء ، فعلى هذا المستقبل يكون عمت في بابه ووزنه فَعِلت بكسر العين وهذا تخليط بين أعيم وأعام"[1].

والهروي هنا يرى أن أصل الفعل هو (فَعَل) بفتح العين ثم نقل إلى (فَعِل) بكسر العين ، ولما كان الفعل في رأيه يائيا استثقلوا الكسرة على الياء فنقلوها إلى ما قبلها ، ولما كان الضمير المتصل قد بني الفعل على السكون اجتمع لديه ساكنان : عين الفعل ولامه فأسقطوا عين الفعل التي هي ياء فبقي (عِمْت) بكسر العين .

وواضح من كلام الهروي أنه وقع في التخليط أيضا فهو لم يفسر لنا لماذا نقلت (فَعَل) إلى (فَعِل) في بداية الأمر ، مما جعله يفسر (عام أعام) وهي الصيغة الأخرى نفس التفسير دون أن يدري .

هذا الخلط تجنبه عالم آخر هو أبو جعفر اللبلي لما قرّر أن " هذا الذي ذكره ثعلب من قوله : (أعام وأعيم) إنما يجوز على أن يكون في عمت لغتان : أحدهما فعِلت بكسر العين ، فيكون أعام في المستقبل على هذه اللغة ، ويكون أعيم على لغة من كان أصل عمِت عنده بالفتح ، فإن كان أراده فكان يجب عليه أن يبينه ويوضحه " [2] .

وبذلك أراحنا اللبلي من عناء تفسير الخلط الذي وقع فيه ثعلب ، فربما – في رأيه – كان للفعل صيغتان (فعِل ← يفعَل ، فعَل ← يفعِل) ومن هنا يجوز لثعلب (عِمت ← أعام ، وعمت ← أعيم) على الترتيب.

وهذا ما اختاره ابن هشام اللخمي في الفعل المذكور ، فعنده إذا كان مثال الماضي على " (فَعَل) بفتح العين ، وكانت العين ياء نحو باع يبيع وعام إلى اللبن يعيم ، وعاج يعيج ، فإنه ينقل أيضا من فَعَل إلى فَعِل ، بكسر العين ، والدليل على ذلك ، بِعت وعِمت وعِجت فتحركت الفاء بالكسر ، فأما عام يعام

[1]- إسفار الفصيح ، للهروي , 424
[2]- تحفة المجد الصريح ، 412 - 413

فَفَعِل يَفْعَل كهاب يهاب وخاف يَخاف ؛ فنقلت حركة العين إلى الفاء فتقول : عِمْت وهِبْت وخِفْت ، وليس منقول من بناء إلى بناء فاعلم ذلك " [1] .

ولما كان الأمر في (عمت) واقعا في أصلين مختلفين في حركة عين الماضي ، فقد أكّد الكسائي أن الأفصح منهما (فَعِل يفعَل) ، مكسورة العين في الماضي معتمدا في ذلك على المقياس الصرفي في الفصاحة ، وبالتالي فهو يفضل بناء (عمت أعام) فقط .

هذا ما نقله عنه الزمخشري ، الذي أراد أن يريحنا من عناء الاختيار بين صيغتين ، يقول الزمخشري " وعِمتُ إلى اللبن أعيم إذا اشتهيته ، قال الكسائي : الأجود أن يقال : عِمْت أعام ، على فَعِل يَفْعَل ، ويُحتج لقول الكسائي بسببين : أحدهما : أن مصدره فَعْلة وأكثر ما تجيء فَعْلَة مصدرا من فَعِل يفعَل من ذلك : حار يحار حَيْرة ، وهاب يهاب هيبة وغار يغار غَيْرة والثاني : أن النعت منه يجيء على فعْلان وأكثر ما يجيء ذلك من فَعِل " [2] .

وإذا كانت هذه القضية الشائكة في الفعل الأجوف منتهية بالقدرة على تحديد حركة عين الماضي ، فإن اللغويين المعاصرين يفسرون لنا سر نقل الحركة من عين الفعل إلى فائه – كما سنرى – تفسيرا يكمل النقص في تفسيرات القدماء في الإعلال بنقل الحركة . ولكن تبقى المشكلة قائمة ؛ حيث لا يستطيع أحد أن يحسم أمر مضارع (عِمت) هل هو (أعام أم أعيم) بمقياس وحيد ، صرفيا كان أم صوتيا ، وتبقى طريقة الكسائي في إيجاد القرائن الصرفية والدلالية والنظائر المتشابهة هي المثلى .

يؤكد دكتور عبد الصبور شاهين أن " اللغة تكره أن تتتابع أصوات اللين في صورة حركة ثنائية على هذا النحو الثقيل ، فتهرب منه إلى توحيد الحركة ... ومن الناحية المقطعية فإن المقطع يتكون في حالة الحركة الثنائية من حركات فقط وهو ما لا يتفق مع خصائص النسيج المقطعي العربي " [3] .

---

[1]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 78
[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 153
[3]- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، 199

ومثل ذلك التفسير نجده عند لندبرج حيث " تتحول المقاطع uyī ، uwī إلى (ī – ū) ، و في العربية الفعل (قيل) يرجح أن يكون نطقه الأقدم في اللهجات العربية (kūla) فهو تطور من الأصل kuwila ، ثم عمم في وقت لاحق في تعابير معينة من kuwila إلى k ī la "[1] .

وهو يقصد بعض مراحل الفعل المعتل في العربية من مرحلة التصحيح : قُـوِل إلى الإمالة ← قُول ثم إلى قَيل ، " ومثل قيل أيضا : (بيع) من buyi ' a ← بِيعَ ثم أغلق المقطع مع الضمير التاء في بِعْت وقِلت "[2] . وهو هنا يفسر إسقاط (الياء أو الواو) بالحاجة إلى إغلاق المقطع ، لأن التاء المتحركة سكَّنت الحرف الأخير في الفعل .

وهذا يفسر لنا سقوط الواو أو الياء في مثل : عام ← عَيَم ، وقال ← قول ، أما في (عِمت) من عِيمت ، ومثل قُلت من قَوَلت ومثل بِعت من بَيِعتُ ، فإنه لا يفسر لنا سر نقل الحركة إلى فاء الفعل .

ولعل هذا الأمر يميز العربية من بين أخواتها الساميات حيث نلاحظ أن العلل القصيرة أو الطويلة لها شأن دقيق في التمييز بين الصيغ الصرفية في العربية بما لا يوجد له نظير في مثل دقته وتنوعه في اللغات السامية .

يشير برجشتراسر إلى أنه " مما خالفت فيه العربية اللغة السامية الأم أن الأفعال الجوفاء شبهت حركة ماضيها بحركة مضارعها في مثل : (قُمت) على قياس (يقوم) و (سِرت) على قياس يسير . والحركة في العبرية والآرامية هي الفتحة دائما كما هي في الغائب أي : قام وسار مثال ذلك في العبرية :

Kamtā مضارعها yōkum

و śamtā مضارعها yōśīm

ويوجد نوع ثالث في العربية : خاف يخاف خِفْتُ وحركة فائها بالكسرة لأن وزنها : فَعِل "[3] .

---

[1] -O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 22

[2] -O. E. Lindberg: Vergleichende , 122

[3]- التطور النحوي للغة العربية ، 95

ويؤكد ذلك رايت Wright ، الذي يرى الأمر في العربية مختلفا عن غيرها ، حيث " يوجد تنوع نطقي في صيغ : قُمت – خِفت – مِت ... أما في العبرية فالصيغة بالفتح في مثل : **קַמְתָּ - בִּנְתָּה - שָׂמְתָּ - סַרְתֶּם** { قَمتا – بَنتاه – شَمتا – سَرْتام } ... بفتحة قصيرة ، والفتحة الطويلة (القامص) تظهر في حالة الوقف "[1].

وقد اتفق رايت و برجشتراسر على اطراد فتح الفاء في العبرية على الرغم من أن لندبرج جاء من العبرية بما يماثل نظيره في العربية ، فمثل الصيغة العربية : طَوُبت ṭawúbta ← طُبْت ، نجد في العبرية :

בּשְׂתִּי bawúśti > bawúṭṭi و

ومثل الصيغة العربية : (خِفت) → خِيفت → ḫawifta

(هِبْت) → هيبت → hayibta

نجد في العبرية : (**בינותי**) : **בִּינְתִּי** (bayīnti) ← **בִּנְתִּי** ← **בֵּנְתִּי**[2]. (benti) .

وبالتفسير الصوتي المرتبط بقانون المماثلة الصوتية يفسر لنا رايت Wright ما حدث من إعلال نقل الحركة إلى فاء الفعل في العربية مثل صيغة (عِمت) وغيرها : " في حالة ما كان الحرف الأول متحركا والثالث ساكنا كما في قُمت ، يحدث انكماش ، ونجد الصائت في الحرف الأول واقعا تحت تأثير واحد من أمرين : إما الصامت ، وإما الصائت في المقطع الأوسط ؛ لذلك فإن قَوَمْتَ : تصبح (ليس قَمْتَ بالفتح) بل قُمْتَ بضم القاف ، تحت تأثير الواو ، كذلك (سَيَرَت) تصبح (سِرْتَ) تحت تأثير الياء ، أما (خَوِفْت) فتصبح (خِفْت) وليس (خُفتَ أو خَفْت) بسبب تأثير الصائت (الكسرة) ، التي هي خاصية لصيغة الفعل اللازم ، وعليه فإن مثل (طَوُلتَ) لن تصبح إلا (طُلتَ) و هيْبتَ تصبح (هِبْتَ) "[3] .

وتقترب الصيغة الإثيوبية من العربية في هذا البناء مع اختلاف طفيف في أن الصيغ الإثيوبية في مثل " (māṭa دار) ، (ḫāra سار) ... هذه الصيغ ليست مطابقة تماما للصيغ

[1] -W.Wright: Lectures 248
O. E. Lindberg: Vergleichende , 122
[2]: انظر - O. E. Lindberg: Vergleichende , 122
[3] -W.Wright: Lectures , 245

العربية ؛ لأن الفتحة العربية الطويلة (ā) تصبح ضمة طويلة (ō) أو كسرة طويلة (ī) في الإثيوبية ؛ حيث ترفض الصيغ الإثيوبية حركة الجذر الثاني وتتحول إلى الحركة المركبة diphthong (au ، ai) التي تؤول بالتالي إلى (ī ، ō) . مثال ذلك الفعل : rawaśa والفعل sayama

يصبحان : rawśa ، sayma

ومن ثم : rōśa و sēma " [1] .

ولنا أن نتوقع شكل الفعل الأجوف عند بروكلمان مع تاء الفاعل في مثل(قام– سار) كما يلي:[2] .

عربي : gumta - sirta (سِرت – قُمت)

حبشي : gōmka - śēmeka (صمت – قمت)

عبري : gāmtā - śamtā

آرامي : gāmt - sāmt

***

ثانيا : الصيغة الاسمية (كَبْد – كَبِد) :

جاء ابن درستويه بصورتين من صور التخفيف في الصيغ الاسمية ، صورة بإسقاط الحركة – يقصد التسكين – وأخرى بنقلها ؛ حيث " إن كل اسم أو فعل على ثلاثة أحرف ، وثانيه مضموم أو مكسور فحذف الضمة والكسرة فيه جائز للتخفيف ، كقولهم في : كَبِد كَبْد ، وفي عَضُد عَضْد ، وفي ضَجِر ضَجْر ، وفي حَسُن حَسْن ، وتحريك الحركة المحذوفة إلى أول الكلمة للدلالة على أصلها جائز أيضا ، كقولهم في كَبِد كِبْد ، وفي كَتِف كِتْف ، وفي عَضُد عُضد ، وما أشبه ذلك ، والعامة كلها على التخفيف ، وأكثر العرب على ذلك . وأما أهل التفاصح والبلاغة فيلزمون الأصل ، ويحتملون الثقل ، طلبا للفخامة وهو الذي اختاره ثعلب ، وليس التخفيف بخطأ ، وقد قرئ القرآن بالتخفيف " [3] .

---

[1] -W.Wright: Lectures , 245

[2] -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 186 : انظر

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 282 – 283 / وقد قرأ نافع ذال أذن بالسكون في قوله تعالى (قلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّه) التوبة9 / 61 ، انظر : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 209

ونظرا لأن ابن درستويه اشترط الضم أو الكسر فقد اختلفوا في (الحَلَقة) " وزعم الخليل أنها تجمع على الحَلَق بفتح اللام ، وأن الحلْقة بالتخفيف والتثقيل جائزان مقولان ، وأدنى العدد حلقات . وزعم بعضهم أنه لا يجوز في هذه إلا سكون اللام ومنهم ثعلب رحمه الله ، وقالوا لا تفتح اللام إلا في شيئين :أحدهما دروع لامرئ القيس كانت عند السموأل يقال لها الحَلَقة بالفتح ،والحَلَقَة جمع الحالق"[1] .

لكن ابن درستويه يرد زعم الخليل فيقول : " وليس بين امرئ القيس وغيره فرق في هذا فإنه وإن كانت الحَلقة بالفتح اسم سلاحه فإنها أيضا اسم لسلاح غيره بالفتح " [2] .

ولّما كانت الصورة الأصيلة (كَبِد) بالفتح ثم الكسر فإن الصورة الجديدة إما بالتخفيف فقط (كَبْد) أو بالتخفيف ونقل الحركة (كِبْد) ، لكننا نجد اللخمي يرفض الصيغة (كَبْد) " قال الشارح : الكَبِد مؤنثة وفيها لغة أخرى : كِبْد بالكسر ، ولا يقال كَبْد بالفتح ، قال أبو حاتم : هو قياس لو تكلم به . قال الشارح : يعني أن كل ما كان على فَعِل مكسور العين ومضمومها فإن التخفيف فيه جائز ، وإذا خففوا فربما ألقوا حركة الحرف المخفف على ما قبله ، وربما تركوه على حركته فيقولون في فخِذ : فخْذ ، وعَضُد : عَضْد ، وفي صبِر: صَبْر . وكذلك كان القياس في كَبِد فيقال : كَبْد وكِبْد ، وفي كَرِش : كَرْش وكِرْش . قال الشارح : وقد أجاز غيره فتح الكاف من كبد وكرش وجعله قياسا مطردا " [3] .

وحدد الزمخشري الناطقين بهذه الصيغ جاعلا (كَبْد) أقلها فالصيغة (الكبِد والفَخِذ والكرِش) " هذه الأسماء مفتوحة الأول بتحريك الثاني منها . وهي لغة أهل الحجاز . فأما تميم وسفلى مُضَر فإنهم يكسرون الأوائل منها ، ويسكنون الثاني فيقولون : كِبْد وفِخْذ وكِرْش . ومنهم من يترك الأول مفتوحا ويسكن الثاني فيقول : كَبْد وهذا أقل اللغات " [4] .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 483
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 483
[3]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 132
[4]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 419

وتطفو قضية الأصل والفرع على سطح هذه الصيغ ، ويظهر من أقوال ابن درستويه واللخمي أن متحركة العين هي الأصل والساكنة فرع لها ، ويظهر قبول الزمخشري طبقا لمعيار الفصاحة (اللهجات) لكليهما .

وما جاء به الكسائي (ت 189 هـ) في (ما تلحن فيه العامة) يدل على أن المتحركة أصل وخلافها لحن فعنده " تقول : كَتِف ، بفتح الكاف وكسر التاء قال الشاعر : (بسيط)

قَالَتْ أَرَى رَجُلاً فِي كَفِّهِ كَتِفٌ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لُهفي أَيَّةً صَنَعَا

وتقول : كَبِد ، أيضا بفتح الكاف وكسر الباء ، قال آخر : (بسيط)

لَوْ كَانَ بِالفَرِدِ الحَوّال لانصَدَعت من دونه كَبِدُ المستعصمِ الفَرِدِ

وتقول : هذه فَخِذ أيضا بفتح الفاء وكسر الخاء . قال الشاعر (بسيط)

عَلَى فَخِذيه من بُرَاية عودِها شبيهُ سَفَى البُهْمَي إذا ما تَفَتّلا

وتقول : هذه كَرِش الشاة ، بفتح الكاف وكسر الراء ، قال الشاعر : (طويل)

ذاتُ لسانينِ وسَحْر وكَرِش " [1] .

***

وتفاوت تفسير **المعاصرين** لما سمّاه القدماء تخفيفا لهذه الصيغ ، وتعددت الرؤى نعرض منها ما يلي:

(أ) – الأصل عند د.**رمضان عبد التواب** هو التحريك ، وقد ظهر التسكين خاصا بالشعر في أول الأمر حيث " لا يمكن أن تتوالى فيه أكثر من ثلاثة مقاطع قصيرة في أي بحر من البحور بحال من الأحوال ... ويمكن أن نلمس آثار عدم تقبل الشعر لتوالي هذا العدد من المقاطع القصيرة فيما يلي :

1- لا يرد في الشعر العربي الصيغ الاسمية التالية مضافة إلى ضمير المخاطب : (فَعِل) مثل (كَتِف) ، وفَعَل مثل (قلم) وفِعَل مثل قِرَب ، وفُعُل مثل فُرش ، وفُعَل مثل جُحَح ...

[1]- ما تلحن فيه العامة ، الكسائي ، 117

2- يكثر في الشعر العربي تسكين لام (ملك) بدلا من تحريكها فرارا من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة . مثال ذلك قول عمرو بن كلثوم : (من بحر الوافر)

إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسْفًا أَبَيْنا أن يُقِرّ االخَسْفَ فينا " [1] .

هذه الأحكام الخاصة بالشعر أثّرت في تقعيد اللغويين حيث نجد " هؤلاء اللغويين لم يحاولوا مطلقا الفصل بين الشعر والنثر في تقعيدهم القواعد ، بل خلطوا بينهما ، فأدى مثل هذا الخلط إلى اضطراب في بعض أحكامهم ، فليس بينهم من اقتصر على الاستشهاد بالنثر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والخطب والرسائل وكتب السير، وغير ذلك من نثر امّحت نسبته إلى القدماء من الفصحاء ، بل نراهم في غالب الأحيان يعتمدون على الشواهد مع قليل من آيات القرآن الكريم في النادر من الأحيان ، ونراهم يكتفون في الكثير من الأحيان بتلك الأمثلة التي اصطنعوها اصطناعا " [2] .

(**ب)** ولم يشترط د. **غالب فاضل المطلبي** ورودها في الشعر ، كي تلعب كثرة المقاطع الصوتية القصيرة المفتوحة دورا في صعوبة الصيغة ؛ فهي موجودة في نطق العرب بالفعل ؛ حيث تميل بعض اللهجات إلى التخفيف للحد من هذا الجهد ، " وتفسير ذلك أن التخفيف يكون في هذه اللهجات إذا اجتمعت ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وهذا يعني أن هذه اللهجات لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة معا فتتحيّل على ذلك بأن تحوّلها إلى مقطعين : الأول منهما مقطع طويل مغلق ، والثاني مقطع قصير مفتوح في أغلب الأحوال على النحو التالي :

فُعُل ← فُعْل

فَعُل ← فَعْل

فِعَل ← فِعْل

فَعِل ← فَعْل " [3] .

---

[1]- فصول في فقه العربية ، 158 - 159

[2]- فصول في فقه العربية ، 162 - 163

[3]- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية ، 175

(ج) الأصل عند **برجشتراسر** فيه خلط ؛ فبعض الصيغ رأى الأصل فيها بالسكون والحركة زائدة ، وفي بعضها الآخر رأى الأصل بالحركة وتتطور بحذفها ، فهو يرى أن زيادة الحركات أمر " نـادر في اللغـة العربية ، منه أن أكثر الأسماء التي وزنها (فُعْل) قد تكون على (فُعُل) أيضا نحو (أذْن) و (أُذُن) وهـي في الأكدية uznu'، وفي العبرية ôzen'، وأصلها uzn ، فنرى من ذلـك أن (أذْن) بالـذال السـاكنة هـي الأصل ، وأن (أُذُن) المتحركة مقلوبة منها " [1] .

والعدد الأكبر من الصيغ أرجعها برجشتراسر إلى التطور بالحذف أي مـن المتحـرك إلى السـاكن " ويوازي ذلك : الكِرْش بدل الكَرِش والسِّرْقة بدل السَّرِقة والمِعْدة بدل المعِدة ، وقد تحذف الحركة الثانية مـن (فَعِل) بغير قلب الأولى كسرة نحو (كَبْد) بدل : كَبِد ، وهو كِبْد أيضا ونَفْس بدل نَفِس ، فهـي في العربيـة دائما بالحذف ، وكذا في العبرية : néfeŝ بدل : nafś . غير أنها في الأكدية على الصـورة الأصـلية وهـي : nafiŝtu بتاء التأنيث " [2] .

(د) ونفهم من تحليل **موسكاتي** أن الصيغة الساكنة هي الأصل في الأسماء والأفعال ، يقحـم فيهـا صوت مد ثانوي بتأثير قانون المخالفة حيث " يجري التخلص كثيرا من تـوالي السـواكن في نهايـة الكلمـة – وتواليها مخالف لمبادئ التركيب المقطعي السامي – بإقحام صوت مد ثانوي وتكوين مقطع جديـد بـذلك ، وفي الأكدية يتماثل صوت المد المقحم بعامة مع صوت مد المقطع الرئيس . فمـثلا : أُزْن uzn (أي أذن) في حالة الإضافة تصير أُزُن uzun . وكَلْب تصير كَلَب kalab . وتصطنع الفتحة في الآشـورية أحيانـا بعـد الكسرة والضمة مثل أزَن uzan . ومثل ذلك في أوائل الألفاظ مثل : كشُدْ kŝud (بمعنى يصل – يتنـاول – تناول) ، تصير : كُشُدْ kuŝud وصْبَتْ śbāt (بمعنى خذ) تصير صَبَت sabat " [3] .

ويؤكد موسكاتي على ما يحدث من ذلك في العبرية " وصوت المد المقحـم في العبريـة هـو (e) الذي هو بين صوتي المدّ الفتحة (a) والكسرة (i) (لا الضـمة u) للمقطـع السـابق ، وهـذا أصـل

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، 69
[2]- التطور النحوي للغة العربية ، 68
[3]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 106 - 107

الأسماء الثلاثية segolate فمثلا : عبد abd، تصير ebed، (ولكن الفتحة (a) تبقى قبل الأصوات الحنجرية والحلقية لتجعل صوت المد المقحم منسجما) ، سِفْر : sifr (كتاب) تصير sefer ، أُزْن : uzn، (أذن) تصير ozen " [1] .

ولما كانت العربية لغة إعرابية تتحرك فيها أواخر الكلمات فلا يضطر المتكلم فيها إلى مثل هذه التطورات ، فقد أشار موسكاتي إلى أن في العربية " تمنع أحوال الأواخر توالي الساكنين في آخر الكلمة : عبد ، عبدُ ، ورجل ، ورِجلُ " [2] .

وما حدث في رأي موسكاتي في العبرية وغيرها حدث في الإثيوبية ولكن بشكل مختلف فهي تتجنب توالي الساكنين " بإضافة الحركة (a) في آخر الكلمة في مثل Gabr (رجل) فهو يلفظ Gabra، أو بإقحام (a) بين الساكنين Gabar " [3] .

(هـ) ويتشابه ما قرره موسكاتي مع ذهب إليه دكتور **إبراهيم السامرائي** من أن الساكنة هي الأصل " وقد هربت العربية من احتمال التقاء الساكنين في بنية الكلمة الواحدة الثلاثية الساكنة العين ؛ إذ يلتقي فيها ساكنان العين واللام لأن أواخر الكلمة سواكن إذا لم تدخل هذه الكلمات في جمل أو إذا وقف عليها كما تقول (فخْذ) بإسكان الخاء في (فخِذ) المكسورة الخاء " [4] .

ويستدل د.إبراهيم السامرائي بما ورد عن ابن جني : " ما سمع فيه (فُعْل) بضم الفاء وإسكان العين إلا فيه (فُعُل) بضم الفاء والعين ، ومنه إسكانهم نحو (رسْل) و (عجْز) و (عضْد) و (كتْف) و (كبْد) ، والحكمة في هذا التحريك هو الهروب من التقاء الساكنين " [5] .

وبعض الحقائق الصوتية القائمة بالفعل تؤيد هذا الرأي ، فالصوت الساكن (عديم الحركة) يميل إلى الضياع والخفاء ، يزيد من ذلك إذا جاور صوتا ساكنا آخر ، ومن هذا القبيل ما يسمى في علم

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 107
[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 107
[3]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 108
[4]- فقه اللغة المقارن ، 41 - 42
[5]- فقه اللغة المقارن ، 42 / (انظر : الخصائص 1 / 75)

التجويد (القلقلة) التي تحرك الصوت الشديد المجهور بحركة مضطربة تجنبا لتلاشيه مع الأصوات المتجاورة ، وهنا يحدث شيء قريب من هذا الأمر.

فالصيغة الثلاثية مثل (كبد) في حالة الوقف وتسكين صوتين متتاليين يكاد الأوسط يضيع ويتلاشى ، فاضطر الناطق العربي إلى تأكيده بحركة مضطربة كانت مثل القلقلة تماما في بداية الأمر ، ثم اتخذت شكلا قياسيا بمرور الوقت باتجاهه نحو حركة ضيقة تشبه الضمة أحيانا أو الكسرة أحيانا أخرى ، والسر في الميل إلى الضم أو الكسر لمخالفة الفتح في فاء الكلمة الذي هو أصل الفاء في بدايات (فَعل) ، فإذا ما عادت العين للسكون جاز في الفاء البقاء على الفتح الذي هو الأصل أو استرداد الحركة الطارئة ضمة أو كسرة .

ولم نقل بأن تلك النظرة الصوتية تنطبق على كل الصيغ الثلاثية ؛ لأن اللغة تتنوع في صيغها ، فليست كل الصيغ متحركة العين كانت ساكنة الوسط في الأصل ، كما أنه ليست كل الصيغ الساكنة العين توجد لها صورة أخرى متحركة .

***

وتدلنا **المقارنة بالساميات** على صدق هذه الرؤية التي قدمها الباحث ففي العبرية الوقف يكون بالسكون ، ومن هنا نجد ما يلي :

" **1-** كل كلمة عربية على وزن (فَعْل) تصبح في العبرية كما يلي :

- عَبْد تصبح في العبرية **עֶבֶד** = عِبد ebed،

2- كل كلمة عربية على وزن (فِعْل) تصبح في العبرية كما يلي :

- سِفْر تصبح في العبرية **סֵפֶר** = sēfer

3- كل كلمة عربية على وزن (فُعْل) تصبح في العبرية كما يلي :

- أُذْن : تصبح في العبرية **אֹזֶן** = ōzen " [1].

[1]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص1

ومن الأمثلة التي مرت بنا (كتف) " فهي في العبرية : כָּתֵף kāţef " [1] .

ومنها (كَبِد) kabēd "في العبرية ممال كسر الباء ممدودا (سفر الخروج 29 – 13،حزقيال21 : 26) "[2].

وما يؤكد أن ذلك التغير هو نتيجة الوقف بالساكن على نهاية الكلمة أننا في حالة الإضافة نفقد هذا العذر ، فتفقد الصيغة هذا التغير وتعود لأصلها ، فتلفظ (كَبْد) بسكون الباء في العبرية في حالة كونه " مضافا إلى الضمير مكسور الكاف ممالا (أمثال 7 : 23) " [3] .

ويؤكد ذلك موسكاتي بقوله " وتعود الصيغة الأصلية إلى الظهور عند إضافة اللواحق مثل عَبْدي bdi ، my slave " [4] . والجمع في العبرية يؤكد ذلك أيضا فلما تحركت لام الكلمة سكنت العين : כְּתֻפוֹת (ketvót) وقد تتحرك العين اضطرارا لسكون الفاء : כְּתֵפוֹת (kotavót) [5] .

وفي السريانية تأكيد لهذه الرؤية أيضا فالصيغة فيها تنتهي بحركة (طويلة) فهي إذا لا تحتاج إلى تحريك العين بل تبقى ساكنة ومن ذلك (كَتِف) فهي فيها כַּתְפָּא katfá ، ولفظ (كَبِد) في السريانية تحرك آخره مفردا وجمعا فلم يحتج إلى تحريك عينه كما يلي :

كَبدُا ، كَبدُتُّا kabdā , kabdāto [6] .

فإذا وقف بالسكون تحركت الباء نجد ذلك كما يلي :

كبَد ، كَبدُا kabad , kabda [7] .

ولنتأمل معا كلمة (نِمْر – نَمِر) فهي في العبرية القديمة : נָמֵר nāmar، فقد تحركت عين الكلمة بالبتاح لحالة الوقف الساكن ، وفي العبرية الحديثة : נֶמֶר nāmer تحركت بالكسر لنفس السبب

---

[1] -W.Gesenius: 509 / E. Drake : Discoveries in Hebrew, 172

[2]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، 2 / 23

[3]- ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، 2 / 23

[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 107

[5] -W.Gesenius: , 509: انظر

[6] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 150

[7]- انظر : البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، 90 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) ، 41

، فإذا ما نظرنا في الأشورية وجدناها : nimru ، سكنت عين الكلمة لتحرك اللام بالضمة (الطويلة) ، وسكنت كذلك عين الكلمة في السريانية : نِمرا (نِمرا) لنفس السبب [1] .

واللهجات العامية المعاصرة تؤكد ما ذكرناه ؛ وتشتهر لفظة (أبو العبِدْ) بالباء الممالة نحو الكسرة في لهجات الشوام ، وفي الخليج لطالما كنت اسمع من طلابي حينما أسألهم عن أسمائهم : فَهُدْ – بَدُرْ ، بإمالة عين الكلمة بشدة نحو الضمة !! .

[1] -W.Gesenius: , 649: انظر هذه الأمثلة